

# باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه

قال رحمة الله: باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه. حدثنا بشير بن محمد قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرني معمراً ويوسوس عن الزهرى قال: أخبرني أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وأله وسلم أخبرته قالت: { أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرسه من مسكنه بالسنن حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم النبي صلى الله عليه وأله وسلم وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله، ثم بكى، فقال: بأبي أنت وأمي يا نبى الله، لا يجمع الله عليك موتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد منها }. قال أبو سلمة فأخبرني ابن عباس رضي الله عنهما أن: { أبا بكر رضي الله عنه فما تلقيا رضي الله عنه يكلم الناس فقال: أجلس. فأبى، فقال: فتشهد أبو بكر رضي الله عنه فمال إليه الناس وتركوا عمر فقال: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وأله وسلم فإن محمداً صلى الله عليه وأله وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَىٰ عَقِيقَيْهِ فَلَنْ يَصْرُرَ اللَّهُ سَيِّئًا وَسَيَحْزِرُ اللَّهُ السَّاكِنِينَ } فوالله لكان الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقياها منه الناس، فما يسمع بشير إلا يتلوها }. وحدثنا يحيى بن بكيه حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء - امرأة من الأنصار - بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخته: { أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مطعون فأذلننا في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفى وغسل وكفن في أتوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم فقلت: رحمة الله عليك السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي صلى الله عليه وأله وسلم: وما يدركك أن الله قد أكرمه؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه الباقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي، قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً }. حدثنا سعيد بن عفیر حدثنا الليث مثله، وقال نافع بن يزيد عن عقيل ما يفعل به، وتابعه شعيب وعمرو بن دينار ومعمراً.

حدثنا محمد بن بشار حدثنا غذر حدثنا شعبة قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: { لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكيه وبنهونني، والنبي صلى الله عليه وأله وسلم لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي صلى الله عليه وأله وسلم: تبكي أو لا تبكي ما زالت الملائكة تطلع بأجنبتها حتى رفعتهموه }. تابعه ابن حجر أخبرني محمد بن المنذر سمعت جابرا رضي الله عنه. جعل هذه الأحاديث في الدخول على الميت، وفي الكشف عنه، وفي مدحه، أو الثناء عليه بعد موته، أو نحو ذلك، ففي الحديث الأول: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة ذكرت: أنه مات وهي محضضة له، وقد أسدنته على صدرها، تقول: { فكان آخر ما قال: اللهم في الرفيق الأعلى } سأله ربه: أن يرفعه في الرفيق الأعلى. ولما توفي كان أبو بكر في السجن وهي ملك له، أو مزرعة خارج المدينة وكان عمر في المسجد، فجعل بعض الناس يقولون: مات النبي صلى الله عليه وسلم فيضرهم عمر وبنهام، ويقول: إنه سيقوم ويعذب أناساً، فكثر اللطف حوله. فلما جاء أبو بكر رضي الله عنه دخل في حجرة عائشة وإذا النبي عليه الصلاة والسلام مسجى ببرد حبرة، أي: مغطى بتلك البرد، فلما كشفه وعرف أنه قد مات فاكب عليه، وقبله وبكي، وأخذ يقول: بأبي أنت وأمي طبت حياً ومتا، يعني: يغدوه بنفسه وبأبيه، ويقول: أما الموتة التي كتب الله عليك فقد منها}. يعرف أن: { كل نفس ذائق الموت } أن كل الأنبياء والرسل قد ماتوا، وأن كل المخلوقين من البشر لا بد أن يأتيهم أجلهم، لقوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا لِتَشْرَهَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ يَتَّقَنَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ } ولقوله تعالى: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّرُونَ } فأخبر بأن الله لا يجمع عليه بين موتين، المونة التي كتب الله عليك قد حصلت، وهي المونة الدنيا، المونة الأولى التي ذكرها الله تعالى لأهل الجنة في قوله: { لَا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأَوَّلَ } أي: موتهم في الدنيا. ولما خرج وعمر رضي الله عنه يضرب من يقول: إنه مات. أمره بأن يجلس فلم يجلس، فصعد أبو بكر منبر النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله وأثنى عليه كمقدمة لكلامه، ثم بعد ذلك قال هذه المقالة المشهورة: من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، يعني: أنكم أسلمتم لله تعالى، وصدقتم محمداً ولستم تعبدونه وإنما تعبدون الله وحده، فهو الإله الحق الذي لا تصلح الإلهية إلا له فاعبدوه، فإن كان أحداً يعبد محمداً فإن محمداً قد مات فلا يصلح أن يعبد، أما من كان يعبد الله الذي دعاها محمد صلى الله عليه وسلم إلى عبادته فالله حي لا يموت. ثم قرأ هذه الآية في سورة آل عمران قول الله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَىٰ عَقِيقَيْهِ فَلَنْ يَصْرُرَ اللَّهُ سَيِّئًا } لما قرأتها أبو بكر رضي الله عنها انتبه الناس لها، وكأنهم لم يسمعوها؛ وذلك لأنهم لا يستحضر كل منهم الآيات والأحاديث التي قد سمعها من قبل؛ فلأجل ذلك لما سمعوها انتبهوا، وعرفوا صحة ما يقوله، وأن الله تعالى قد قبض روح نبيه، وأنه قد اختاره لجواره، وذلك بعد ما بلغ الرسالة التي أرسل بها، وأنزل عليه قوله: { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَوْجَاجًا } أي: أنك قد حصل ما أرسلت به من دخول الناس في دين الله، وكونهم دانوا بالإسلام ووحدوا الله، فقد أديت ما عليك، فيما بقي إلا أن ربه اختاره لجواره، فقبض روحه، ورفع روحه إلى الرفيق الأعلى، فهذا دليل على الدخول على الميت بعد موته. كذلك في قصة عثمان بن مطعون - وهو من أجيال الصحابة من المهاجرين - لما هاجر مرض عند من اختارهم النبي صلى الله عليه وسلم له كصيف عليهم، ثم بعد ذلك توفي، ولما توفي مدحته هذه المرأة التي كانت من أهل البيت، وأخذت تقول له أو تزكيه: بأن الله تعالى اختاره له، وأن الله سيكرمه، وأنه لا يخربه؛ حيث أنه من خيار عباد الله الصالحين، ولكن كره النبي صلى الله عليه وسلم الحزم لأحد لأن يكون من أهل الجنة، وأخبر بأنه لا يعلم مصيره هو، يقول: حتى أنا فلا أعلم ما يفعل الله تعالى بي؛ وذلك لأنه بشري، والبشر غير مطلعين على علم الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، فكانه يقول: لا تزكيوا أحداً، نحن نرجوا للمؤمن، ونخاف على الكافر، أو نخاف على العاصي، نرجوا لهؤلاء فلا نجزم لهم بأنهم من أهل الجنة، ولكن نرجوا للمحسن، ونخاف على المسيئ. ومع ذلك يقول: جاءه أجله، أتاه الأجل وهو على أحسن حال، يعني: أمن بركة وصبر على ما صبر عليه من الأذى، وتکيد الهجرة، وانتقل إلى دار الهجرة وبقي عليها إلى أن أتاه الأجل، مع ما كان عليه من زهده وتقشفه، وتقلله من متاع الدنيا، وما أشبه ذلك، فكل ذلك مما يشهد له به، ولكن لا يجزم له بالجنة ولا بالنار، ولا يجزم لأحد بذلك إلا من ورد النص بأنه من أهل الجنة، فيشهد له بذلك، من عقيدة أهل السنة أنها نرجوا للمحسن، ونخاف على المسيء، وأنا لا نجزم لأحد بجنة ولا ب النار. كذلك أيضاً قصة جابر لما قتل أبوه في غزوة أحد كان من حملة الشهادة الذين اختارهم الله تعالى للشهادة في هذه الغزوة، يقول جابر فراني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أكشف عن وجهه وأبكي، والناس ينهونني، ورأي أخته أيضاً تبكي، فقال ميشراً لهم: { تبكي أو لا تبكي ما زالت الملائكة تطلع بأجنبتها حتى رفع } أي: من كرامة الله تعالى له في الدنيا بعد ما قبض أن الملائكة تطلع بأجنبتها إلى أن رفع، رفعه الله تعالى إليه، رفع روحه، أو رفعت جنازته وأوربت. وبكل حال، فإن هذا دليل على جوار القلب عند الميت؛ حيث أقر لهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما في ذلك من الحزن، ومن قوة الحزن الذي يكون في القلب. وقد قال صلى الله عليه وسلم: { العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا } وقال: { إن الله لا يعذب بدموع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا}. وأشار إلى لسانه، أو يرحمه }. فلا يأس بالبكاء على الميت من باب الرحمة له، أن الإنسان يرحم ذلك الميت، ويرحم نفسه حيث فقد من هو محظوظ لديه، ومن هو له مكانة عنده، وإن كان ذلك خيراً له، المؤمن إذا مات فهو خير له، ورد أنه: { لما صلى الله عليه وسلم مر عليه بحنانة، قال: مستريح ومستراح منه: المؤمن يستريح من نكد الدنيا ونصبها، والكافر تستريح منه الملائكة والمسلمون } فالمؤمن يستريح إلى دار التواب ودار الآخرة.